

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الاسم: لطفي

رقم التسجيل: 10323

المادة: أصول الإيمان (1)

عنوان البحث:

# الامتنان

## أسبابه وآثاره وعلاجه

## مقدمة:

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لانبى بعده.  
وبعد فإن من أكبر التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية إشكالية الإلحاد، و أقول إشكالية لأن الإلحاد لم يعد يمثل بالنسبة للمسلمين مشكلا بسيطا، بل أصبح مشكلا معقدا و تغلغل في أوساطهم و أثر على الكثير من طوائفهم تأثيرا يختلف مداه من طائفة إلى أخرى.

كيف لا؟ و هذا السرطان الخبيث نخر و لا يزال في جسد الأمة، حتى أصبحنا نشاهد من يتسمى بمحمد و عبد الله يقول إنه ماركسي، و أصبحنا نشاهد جماعات من أبناء المسلمين ممن يحمل السلاح ليحرر بلده من الغازين ووجودون بأنفسهم رخيصة في سبيل ذلك، إلا أنهم ينوون إذا ما تم لهم النصر و استتب لهم الأمر أن يؤسسوا حكما لادينيا و يقيموا مجتمعا متفتحا متحررا - زعموا - على النمط الغربي.

بل إن طوائف ممن يحسبون على الدعوة إلى الله و ممن نذروا أنفسهم للعمل لاستئناف حياة إسلامية و الدعوة إلى ذلك، تجدهم يتنازعون و يختلفون فيذهب ريحهم، لا لشيء إلا لاختلافهم حول الموقف الشرعي ممن ادعى الإسلام قولا و أقام بعض شرائعه، إلا أنه نحى جلها و تبنى الإلحاد واقعا و نصره، ولم يأل جهدا في سبيل تمكينه في كل مجالات الحياة.

و هذا غيظ من فيض يحفزنا إلى أن نتعرف على أسباب هذه الظاهرة و نتتبع آثارها، كل ذلك ليصح تصورنا لها كي يصح حكمنا عليها تبعا، إذ الحكم عن الشيء فرع عن تصوره، ولكي يتسنى بكل ذلك تشخيص العلاج و تتمثل الحل واضحا جليا.

## خطة البحث:

وقد رأيت أن يكون هذا البحث المتواضع الذي بين أيديكم حول هذا الموضوع، وأن أقسم البحث إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: مدخل و تعريف: أعرف في هذا الباب الإلحاد لغة واصطلاحاً وأسرد بعض النقول عن بعض الكتاب الذين ألفوا في هذا الموضوع، كما أذكر بعض ما عُرِّفت به العلمانية باعتبارها من القسم العملي للإلحاد.

الباب الثاني: أسباب الإلحاد: للإلحاد أسباب كثيرة إلا أنني سأذكر أهمها على حد علمي وما وصلت إليه من البحث، و سأقسّم - إن شاء الله - هذا الباب إلى فقرات:

1. الكنيسة الأوروبية: و دورها الرئيس في إثارة الإلحاد لما شابها من الخرافات ولمواقفها الهاضمة للحقوق و المعادية للعلم.

### 2. المذاهب الاقتصادية اللادينية:

بعد توطئة حول التطرف الذي لم يتحرر الغرب منه في تاريخه البتة، وإشارة - في اقتضاب - إلى النظام الاقتصادي الذي ساد في أوروبا لقرون، أتطرق إلى أهم النظم الاقتصادية التي شهدها الغرب بعد ذلك وهي:

أ. المذهب الطبيعي الفيزيوقراطي: تاريخه، أسسه العلمية وحقيقة ما يرمي إليه.

ب. المذهب الرأسمالي: أذكره هنا باعتباره الامتداد الطبيعي للمذهب الفيزيوقراطي وأقل عن أشهر أساطنته ( آدم سميث ) وأذكر بعض النقد الذي وجه إليه من بني جلدته.

ج. المذهب الشيوعي: و هو ردة فعل متطرفة على المذهبين السابقين، وهو مذهب اقتصادي وسياسي واجتماعي اعتمد الإلحاد في نشأته و تطوره وتطبيقه ودعوته.

3. اقتران الإلحاد بالقوة المادية: و تأثير ذلك في فتنة سفهاء الأحلام.

4. هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية: ودورها في نشر الإلحاد بين

المسلمين، كما لا يفوتني هنا أن أذكر أهم وسيلة اعتمدها الغزاة والغاية الحقيقية التي من أجلها غزوا ديار المسلمين.

## 5. الحياة الجديدة:

أ. مباهجها وفتتها: التي أبعدت الإنسان عن الدين باعتباره ينهى عن الإسراف و التنبذير.

ب. دوامتها و شغلها لوقت الإنسان المعاصر: فهي لم تترك له وقتاً للفراغ يستطيع فيه أن يفكر في حقائق الدين.

الباب الثالث: آثار الإلحاد في حياة الإنسان: و سأقسم هذه الباب بدوره إلى فقرات:

1. القلق والصراع النفسي: و هما نتيجتان حتميتان لمن ضاد الفطرة.
2. الأناية والفردية: مع ضعف التكافل الاجتماعي.
3. فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام: مع غياب الرقيب.
4. هدم الأسرة و تخريب المجتمع: نتيجة لفساد الفرد.
5. الفساد السياسي الدولي: إذا امتلكت القوة و ذهبت الأخلاق.

الباب الرابع: كيف نعالج ظاهرة الإلحاد؟ سأطرق بإذن الله في هذا الباب إلى الخطوط العريضة لكيفية علاج الإسلام لهذه الظاهرة و أفصلها في فقرات ثلاث:

1. الإيمان بالله و توحيده: و دوره في الوقاية من الإلحاد و العلاج منه.
2. العناية بالتربية الخلقية: إذ هي الكفيلة بترجمة الاعتقاد إلى عمل.
3. التصدي لشبهات الملاحدة: وهذا من واجب الأمة وهو على ضربين:

أ- نظري: بالرد على شبههم وتعريتها.

ب- عملي: بمدافعة الإلحاد على أرض الواقع.

الخاتمة.

وقد اعتمدت في هذا البحث على الله تعالى ثم على بعض الأبحاث و المؤلفات في هذا الموضوع أو ما يتعلق به كالعلمانية، والتي سأذكر مؤلفيها في فهرس المراجع إنشاء الله.

كما أنني أثناء بعض النقول أسقطت بعض الكلام و أشرت إلى ذلك بثلاث نقط متتاليات: ... و في مواضع أخرى منها أضفت بعض الكلمات ليستقيم السياق العام و

جعلت ما أضفت من كلامي بين قوسين [ ].  
و الله ولي التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## الباب الأول: مدخل و تعريفه

إن الناظر بعين البصيرة و المستشف لأحوال الأمم يعلم عين اليقين أن الغرب المتقدم المتحضر - كما يحلو لأبنائه و من اغتر بترهاتهم أن يسمونه - مع ما يملك من المدنية و أسباب القوة يضم أهش المجتمعات و أكثرها تصدعا، و يعد من أكبر المعائل للمشكلات التي لا أول لها ولا آخر، فالقلق النفسي والاضطراب، وانتشار الجريمة، وانعدام الأخلاق والفردية والأنانية، والظلم بكل معانيه وصوره، والانحلال والفساد، و الفضائح السياسية والمالية، كل ذلك تجد الغرب حاز حصة الأسد منه، ثم مع كل ذلك تجد أحد أبنائه بكل جرأة يقول: " إن حضارة الغرب خير من حضارة الإسلام ". ولا أجد من يردّ عليه ويقول بل إن الحضارة الإسلامية خير إلا محققا قول الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره      إذا قيل إن السيف أمضى من العصى.  
ذلك أن الحضارة تقوم على ركيزتين لا بد لها منهما: الثقافة والمدنية.

فالثقافة تتمثل في الاعتقاد و التصور حول الإنسان والكون والحياة، و في الأخلاق التي تجسد هذا التصور وذلك الاعتقاد، ولا يخفى على ذي لب أن الغرب كان ولا يزال من أفقر الأمم في هذا الجانب وأحطها. والمدنية هي التقدم المادي و أسباب القوة التي بها يتحقق رغد العيش والتغلب على الأمم الأخرى، ولا يخفى كذلك أن هذه المدنية تفتقر أشد الافتقار إلى ثقافة عالية و أخلاق سامية تستخدمها لعمارة الأرض وإصلاحها إقامة العدل والتمكين للاعتقاد و التصور الصحيحين.

إذا علم ذلك فإننا نوقن بأن الغرب بامتلاكه للمدنية و أسباب القوة لم يزد إلا بعدا من التحضر والتقدم، وما أحداث احتلال العراق عنا ببعيد. إذا فالإشكالية التي نحن بصدها، أي الإلحاد، يعد أعظم الأسباب في استئراء الظلم والفساد والاضطراب، هذه التي لا يمكن أن تقوم للحضارة معها قائمة، والتي معها لا يمكن للأمة وإن علت في الأرض أن يدوم لها التمكين.

ولأن المسلمين - كما أسلفت في المقدمة - نالهم حظ من الإلحاد وآثاره المباشرة وغير المباشرة، فإنه يجدر بنا أن ندرسه ونحلله، فماذا نعني بمشكلة الإلحاد؟ وما سبب هذه المشكلة التي أصبحت إحدى مظاهر العصر؟ وكيف يعالج الإسلام هذه المشكلة؟ هذا ما سنناقشه في الصفحات التالية بحول الله.

### ماذا نعني بكلمة الإلحاد؟

يقول الشيخ محمد خليل هراس - في شرحه للعقيدة الواسطية - عن الإلحاد: ( مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادة " ل ح د " فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين ) المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه)).

و يقول الشيخ عبد الرحمان عبد الخالق:

(نعني بالإلحاد الكفر بالله والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد. وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار وتكريس الحياة كلها للعالمية فقط والإلحاد اليوم ظاهرة عالمية فالعالم الغربي في أوروبا وأمريكا وإن كان وارثاً في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار إلا أنه ترك هذه العقيدة الآن وأصبح إيمان الناس هناك بالحياة الدنيا فقط وأصبحت الكنيسة مجرد تراث وأثر من آثار الماضي، ولا تشكل في حياة الناس وعقولهم إلا شيئاً تافهاً جداً وقد أصبح (الإلحاد) هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية ويعبر عن ذلك (بالعلمانية) تارة، و (اللا دينية) تارة أخرى وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله.)<sup>1</sup>

و يقول الشيخ محمد شاكر الشريف:

( ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

\* إلحاد نظري .

\* إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي)<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمان عبد الخالق

<sup>2</sup> العلمانية و ثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف

و ينقل الشيخ سفر الحوالي بعض التعاريف للعلمانية قائلًا:  
 (و الترجمة الصحيحة للكلمة ( أي العلمانية ) هي اللادينية أو الدنيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.

و تتضح الترجمة الصحيحة من التعريف الذي تورده المعاجم ودوائر المعارف الأجنبية للكلمة:

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism):

" هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم عن الاهتمام بالآخرة إلى اللاهتتمام بهذه الدنيا وحدها ... "

و يقول قاموس العالم الجديد لوبستر، شرحا للمادة نفسها:

- الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، ونحو ذلك. و على الخصوص: نظام من المبادئ و التطبيقات (Practices) يرفض أي شكل من أشكال الإيمان و العبادة ...  
 ويقول معجم أكسفورد شرحا لكلمة (Secular):

- دنيوي أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو المويقي اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساس ( للأخلاق و التربية... )<sup>3</sup>

و قد قام في الشرق كيان تبني الإلحاد تبنيًا كاملاً لمدة تزيد على سبعة عقود من الزمن، وهو ما كان يسمى بالاتحاد السوفيياتي فكانت هذه الدولة (التي تحمل العقيدة الشيوعية التي من بنودها رفض الغيب كله والقول بأن الحياة مادة فقط وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط، وأما الدول الأخرى فبالرغم من أنه كان ينتشر فيها أديان تقوم على بعض العقائد الغيبية كالهندوكية والبوذية والكونفوشيوسية إلا أن هذه الأديان اختفت الآن تقريباً أمام مد الإلحاد الغربي والحياة العصرية.

وبالرغم من أن العالم الإسلامي ما زال يتمسك نوعاً ما بالإسلام ويقر بالتوحيد ويؤمن

<sup>3</sup> العلمانية، نشأتها وتطورها و آثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي(ص:21-22-23)

بالبعث والجنة والنار إلا أن موجة الإلحاد العارمة تغطي عليه من كل جانب، وتشكك أبناءه في دينهم وعقيدتهم ويحسن بنا ونحن نجابه هذه المشكلة أن نبحت بحثاً موضوعياً علمياً في أسباب هذه المشكلة وكيفية علاجها.<sup>4</sup>

---

<sup>4</sup> الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق

## الباب الثاني: أسباب الإلحاد

إن الإلحاد وإن كان له وجود في التاريخ البشري، لكنه لم يكن ظاهرة بهذه الحدة وذلك الانتشار، بل ربما كان محصوراً في حالات فردية محدودة، إلا أن جملة من العوامل جعلت من الإلحاد والكفر بالله ديناً عاماً منتشراً، ونستطيع أن نجمل أهم الأسباب في انتشار الإلحاد فيما يلي:

### 1. الكنيسة الأوروبية:

لقد شهدت الديانة النصرانية أكبر أنواع التحريف والتبديل على مدى التاريخ، وإن تعجب فعجب تمسك الذين قالوا إنهم نصارى بهذا الدين المحرف مع اعترافهم بما وقع فيه من التحريف و التزوير.

( و عملية التحريف التي استغرقت زهاء عشرة قرون - بل نستطيع أن نقول أنها لم تتوقف حتى الآن - بدأت مبكرة حين كان الحواريون لا يزالون على قيد الحياة، كما أنها ابتدأت بموضوع ليس بالهين، وهو القول بأن للمسيح طبيعة إلهية مع أن سيدنا عيسى عليه السلام - كما تعترف دائرة المعارف البريطانية - " لم تصدر عنه أي دعوى تفيد أنه من عنصر إلهي أو من عنصر أعلى من العنصر الإنساني المشترك ".

و تتفق المصادر التاريخية - فيما نعلم - على أن اليد الطولى في التحريف كانت لمبشر من أتباع الحواريين، تسميه المسيحية المحرفة " بولس الرسول "، وهو الذي أثار موضوع ألوهية المسيح لأول مرة، مدعياً أنه " ابن الله " - تعالى عن ذلك - وكانت هذه الدعوى البذرة الأولى للتثليث.<sup>5</sup>

ويلخص الشيخ عبد الرحمان عبد الخالق دور الكنيسة في إثارة الإلحاد قائلاً:  
(لقد كانت الكنيسة الأوروبية سبباً غير مباشر أحياناً وسبباً مباشراً أحياناً أخرى في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخزعات، وجعلوها عقائد دينية، كرفعهم عيسى عليه السلام من مرتبة البشرية إلى الألوهية وظهور فكرة

<sup>5</sup> العلمانية، سفر الحوالي (ص:36)

الخطيئة والصلب والخلاص وأضافوا إلى ذلك كثيراً من الخرافات الدارجة عن الأرض والكون والحياة، وعندما بدأ عصر النهضة الأوروبية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة هب الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك، ويتهمون من يعتقد بالحقائق الجديدة ويصدق بها بالكفر والزندقة ويوعزون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقتهم بالنار، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جزاء مخالفتهم لآراء الكنيسة.. ولكن حركة العلم لم تتوقف واستطاع العلماء أن يقدموا كل يوم براهين جديدة على نظرياتهم العلمية وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها تهزم كل يوم هزيمة جديدة وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنوت فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي كإله جديد سيحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، وفتش الناس أسرار الكنيسة فهالهم ما رأوه من فساد أخلاقي بين الرهبان والراهبات وأرادوا التخلص إلى غير رجعة من السلطان الكهنوتي والقهر الزمني الذي مارسته الكنيسة ضدهم ومن الإتاوات والضرائب التي فرضتها الكنيسة على رقابهم فكان الرفض الكامل لكل المعتقدات الدينية والكراهية العامة لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب واتهام الرسل جميعاً بالكذب والتدليس وهكذا برزت الموجة الأولى من موجات الإلحاد العالمي).<sup>6</sup>

## 2. المذاهب الاقتصادية الإلحادية:

( الاقتصاد هو الإله الأكبر للجاهلية الأوروبية المعاصرة دون منازع! و الجاهلية الأوروبية، مثاها مثل أي جاهلية في التاريخ لا تنتهج خطأ وسطا متزنا، بل تتحكم فيها ردود الفعل و تتسم تصرفاتها بالغلو و التطرف و الاندفاع فليس طريق الحياة الأوروبية إلا خطأ متذبذبا من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ولا تستطيع الجاهلية الأوروبية أن تنظر إلى أي شيء إلا من خلال منظار له عدستان متقابلتان: إحداهما تكبر كل شيء عن حجمه الحقيقي، و الأخرى تصغره عن حجمه الحقيقي وبين هاتين تضيق الرؤية الحقيقية.

وهذه الظاهرة تتجلى في كل ناحية من نواحي الحياة، و ربما كانت في الاقتصاد أكثر

<sup>6</sup> الإلحاد، عبد الرحمان عبد الخالق

تجليا .. وكانت أوروبا تحتقر الحياة الدنيا وتزدرى ما أحل الله من الطيبات، و تقدس الفقر و التقشف وتبارك البؤس والشقاء، لأن ذلك وسيلة للخلاص من الخطيئة وهو الغرض الوحيد من الوجود الإنساني.

ثم انقلب الأمر رأسا على عقب وتحولت أوروبا إلى وحش ضار، وهجمت بكل قواها على المتاع الحسي و تطلعت بكل حواسها إلى الشهوات الزائلة، تريد أن تلتهم كل متعة وتنتهب كل لذة غرقت في الدنيا ونسيت الآخرة بل نبذتها نبذا كليا (...)<sup>7</sup> كان النظام الاقتصادي السائد في أوروبا هو نظام الإقطاع الذي يقسم المجتمع إلى طبقتين، فالطبقة العليا هي طائفتا السادة الملاك ورجال الكنيسة، و الطبقة الدنيا هي طائفتا العبيد و رقيق الأرض.

وقد عرف الغرب بعد أفول نظام الإقطاع - الذي كانت تسانده الكنيسة ويساندها - نظاما اقتصادية بديلة من أهمها:

#### أ - المذهب الطبيعي " الفيزيوقراطي "

( يستعرض مؤلف كتاب " المذاهب الاقتصادية الكبرى " تاريخ هذا المذهب فيقول: اعتمد الناس خلال القرون التي خلت على القدامى من أمثال أرسطو و آباء الكنيسة يلتمسون عندهم المعرفة بشأن العالم الخارج عن دائرة ما يعيشون فيه ... غير أن نفرا من نوي العقول أخذوا يكتسبون معرفة جديدة أكثر دقة و ذلك عن طريق دراسة الطبيعة ذاتها في تواضع و بالأسلوب الموضوعي. فالإدراك بأن الأرض ليست مركز العالم بل تدور حول الشمس، و الكشف الذي اهتدى إليه هارفي بشأن الدورة الدموية والنظريات التي طلع بها نيوتن عن الجاذبية و الحركة، كل هذه أعقبتها عشرات من الملاحظات لها مغزاها و أهميتها وإن كانت أقل شأنا و درجة)<sup>8</sup> يقول الشيخ سفر الحوالي في معرض بحثه حول هذا المذهب:

( وأما الأساس العلمي الذي توهموا أنهم أقاموا عليه صرح مذهبهم فهو نظرية نيوتن عن الأجرام السماوية وقوانين الحركة الطبيعية، فكما أن للنجوم و الكواكب قانونها الطبيعي الذي يحدد لكل منها مساره الخاص دون أن يحدث بينها أي اصطدام على

<sup>7</sup> العلمانية، سفر الحوالي (ص:259-260)

<sup>8</sup> العلمانية، سفر الحوالي (270)

الإطلاق فذلك - في نظرهم - لو ترك الناس إلى طبيعتهم لم يفرض عليهم قوانين خارجية لانتظمت أحوالهم وسارت وفق القانون الطبيعي الذي يكفل تطبيقه الحياة المثالية للمجتمع والأفراد دون تعارض و اضطراب<sup>9</sup> ويقول نقلا عن جورج سول: ( فإذا كانت المصادر القديمة قد أخطأت في نظراتها إلى العالم الطبيعي أما كانت كذلك مخطئة في نظراتها إلى السلوك البشري؟ ... وأصبح كل شيء موضع التساؤل والشك ... و أصبح البحث ينصب على تفسير النتائج والأسباب بالسبب إلى السلوك البشري سواء أكان مرغوبا فيه أم غير مرغوب فيه عن طريق قوانين الطبيعة بدلا من البحث عنها في إرادة الله، كما قالت الكتب المقدسة أو المذاهب الكنسية. ومعنى هذا - بتعبير آخر - أن علينا أن نسترشد في أعمالنا وتصرفاتنا بالعقل دون سلطة القدامى و آرائهم.)<sup>10</sup>

### ب - المذهب الرأسمالي الكلاسيكي:

( كان المذهب الطبيعي ينسب للأرض القيمة الاقتصادية الكبرى، فأعطى المذهب الكلاسيكي هذه القيمة للعمل، وليس مرد ذلك إلى الانتقال من العصر الزراعي إلى العصر الصناعي فحسب، بل إنه ليعبر عن رغبات الطبقة الجديدة التي تريد أن تفرض نفوذها المالي على المجتمع وتيتأثر بالعمال الذين كانت غالبيتهم تعمل في الزراعة.)<sup>11</sup>

وأشهر الرأسماليين الكلاسيكيين آدم سميث، فيلسوف الاستعمار وكاهن الرأسمالية الأكبر و كتابه " ثروة الأمم " أهم المؤلفات الاقتصادية وأبعدها أثرا.

يقول روبرت داونز في مؤلفه " كتب غيرت وجه العالم ":

( النظرية الأساسية في كتاب " ثروة الأمم " نظرية ذات نزعة ميكيفالية، هي أن العامل الأول في نشاط الإنسان هو المصلحة الشخصية، وأن العمل على جمع الثروة ما هو إلا مظهر من مظاهرها، وبذلك قرر أن الأناية والمصلحة الشخصية تكمن وراء كل نشاط للجنس البشري، وصارح الناس باعتقاده أنها ليست صفات ممقوتة

<sup>9</sup> المصدر السابق (273)

<sup>10</sup> المصدر السابق (271)

<sup>11</sup> المصدر السابق (274)

يجب الابتعاد عنها، و إنما هي على العكس عوامل تحمل الخير إلى المجتمع برمته، و في رأيه أنه إذا أريد توفير الرفاهية للأمة فلا بد من ترك كل فرد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكل ثابت منظم دون تقييد بأي قيد.<sup>12</sup> ( ولم يقتصر سمث على إنجلترا ولا على أوروبا وحدها بل كان كتابه المذكور إنجيلا للمستعمرين الذين تدفقوا على قارات العالم الأخرى ينهبون خيراتها و يستعبدون شعوبها، حتى لقد عد الفصل الذي يتحدث عن المستعمرات أشهر فصول الكتاب ... على أن سمث لم يسلم من المعارضين من ذوي الميول الدينية مثل رسكن الذي قال عنه:

إنه الاسكتلندي الغبي الهجين الذي يدعو الناس عامداً إلى ارتكاب التجديف في الدين بقوله: " عليك أن تكره الرب إلهك، وتعصي وصاياه وتشتهي مال قريبك ". كما لم يسلم ممن عارضه لأسباب إنسانية مثل كثير من أحرار المفكرين الذين لم يغفروا لسمث قط أنه أداة في ذلك الاستغلال الدنيء الذي انتهجه رجال الأعمال وأصحاب المصانع إذ اتخذوا من مبدأ " حرية التجارة " وآرائه فيه منهجا لهم في أعمالهم، فقد انتهب هؤلاء تلك الفرصة فشوهوا كل مبدأ دعا إليه لحماية العامل والزراع والمستهلك والمجتمع عامة، وفسروها على أنها إياحة مطلقة لمصلحتهم الشخصية، لا تتقيد بأي قيود أو تدخل من جانب الحكومة.<sup>13</sup>

وهكذا فإنه ( ما كادت أوروبا تتخلص جزئياً من سلطان الكنيسة ويكتشف الناس قوة البخار والآلة حتى تحول الناس من الزراعة إلى الصناعة، وهرع أهل الإقطاع إلى التصنيع فامتلكوا المصانع الكبيرة وحازوا الثروات الضخمة واستغلوا العمال استغلالاً فاحشاً وانتشرت المظالم الهائلة وظهرت الطبقات المتفاوتة من رأسماليين جشعين إلى عمال فقراء مظلومين، وكان رؤية هذا الظلم الجديد، ومساندة رجال الدين أو سكوتهم عنه سبباً جديداً في انتشار الإلحاد والشك في وجود الله، واتهام الدين بمساندة الظلم أو عجزه عن تقديم حل ناجح لمشكلات الإنسان على الأرض وابتدأت العقائد الدينية تتحسر انحساراً جديداً عن حياة الناس وابتدأ الناس يعملون أفكارهم في خلق عقائد تستطيع أن تحل مشكلاتهم على الأرض، وتقع عقولهم وعجزت الكنيسة الأوروبية

<sup>12</sup> المصدر السابق (275)

<sup>13</sup> العلمانية، سفر الحوالي (276-277)

أيضاً عن تقديم هذا العلاج للناس )<sup>14</sup>

### ج - المذهب الاقتصادي الشيوعي:

( في مقابل التطرف الذي اتخذه الطبيعيون و الرأسماليون الكلاسيكيون نحو الفردية، تطرفت طائفة أخرى فاتجعت اتجاهها جماعيا لا يقيم للفرد وزنا إلا من جهة كونه مسمارا في الآلة الاجتماعية).<sup>15</sup>

هذا الاتجاه الذي ينطلق من نظرية الأمة التي تسودها روح جماعية خالصة يذوب فيها الفرد في كيان المجموع، وهذا الذي نظر له أفلاطون في جمهوريته، وكان ممن أوجد له نموذجا تطبيقيا الحركة " المزدكية "، وهي فكرة شيوعية نشأت في بلاد فارس قبل الإسلام.

و في ذلك وجد بعض الأوروبيين بغيتهم فكانت ( الشيوعية التي بشر بها كارل ماركس (اليهودي الألماني الذي تنصر والده) فبالرغم من أن هذا المذهب ينطلق من منطلق اقتصادي ويستهدف حسب إعلان المبشرين به معالجة المظالم الرأسمالية الفردية والسيطرة على مجتمع اشتراكي يعمل فيه كل إنسان حسب طاقته ويأخذ حسب حاجته فقط، إلا أن القائمين على هذا المذهب الاقتصادي صبغوه بالصبغة العقائدية وأعطوه أبعاداً أخرى غير اقتصادية فزعموا أن الحياة التي يعيشها الناس حياة مادية فقط وأنه لا يوجد روح ولا بعث ولا إله، ولا حياة أخرى وأن الناس منذ وجدوا لا هم لهم إلا المصالح المادية وزعموا أن ظهور الأديان إنما كان من فعل الأغنياء ليلبسوا على الفقراء ويستغلّوهم وأن الأخلاق كالأمانة والعفة والصدق ما هي إلا نتاج خبيث للفكر الديني الذي يريد أن يخدم المصالح الرأسمالية، واعتقد الشيوعيون لذلك أن الأنبياء ما كانوا إلا دجالين أرادوا بنشر أديانهم تخدير الشعوب لتستقيم للظلم والقهر وبهذا أصبح هذا المذهب الاقتصادي بفلسفته التي أطلقها على الأديان موجة جديدة من موجات الإلحاد والزندقة. ولعل هذه الموجة الجديدة التي جاءت بها الشيوعية كانت أعتى موجات الإلحاد جميعاً وذلك أن الشيوعية تبنت الدفاع عن المظلومين والفقراء وهذه قضية عادلة وإنسانية في ذاتها ولذلك تبنى هؤلاء الفقراء والمظلومون وهم

<sup>14</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق  
<sup>15</sup> العلمانية، سفر الحوالي (289)

أغلبية الناس دائماً هذه العقيدة الجديدة والدين الجديد لأنه يدافع عن مصالحهم ويتبنى قضاياهم وبالطبع أخذوا هذا الدين بفلسفته العقائدية وليس بفكره الاقتصادي فقط. وهكذا انتشر الإلحاد سريعاً مع هذا المذهب الاقتصادي الجديد وكان النجاح الهائل الذي لاقته الدعوة الشيوعية بتفجير الثورة البلشفية في روسيا والاستيلاء على الحكم عاملاً كاسحاً في هدم الأديان ونشر الإلحاد وانتقاله ليصبح عقيدة عالمية. ولما كانت الدعوة الشيوعية ترى أن نهاية العالم الحتمية إلى الشيوعية وتدعو لذلك بل تنتهج الثورة والعنف الدموي سبيلاً إلى نشر الشيوعية فإنه سرعان ما تأجج العالم من أقصاه إلى أقصاه بالثورات التي أوجبتها هذه العقيدة وابتدأت التحولات القسرية لشعوب بأجمعها نحو الإلحاد كما حدث في الجمهوريات الإسلامية في روسيا وكذلك في الصين وغيرها وما زال المد الإلحادي الذي توججه العقيدة الماركسية يمتد عبر بلدان العالم جميعها. وها هي البلدان العربية التي كانت معقلاً للإسلام تغزوها العقيدة الماركسية الإلحادية في عقر دارها. ( 16

### 3. اقتران الإلحاد بالقوة المادية:

إن الله العليم الحكيم إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه، فيجعل بعض الأحداث مقترنا ببعض، فتنة للناس واختباراً لهم، فيظن الناس الموافقة تلازماً، والله الحكمة البالغة. فكان في العصر الحديث مما ( شجع الناس على الكفر بالله والانطلاق نحو الإلحاد الكامل هو اقتران القوة المادية بالإلحاد، وذلك أن الناس رأوا أن أوربا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها. وأن دولة كروسيا لم تصبح دولة عظمى إلا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمسك بالدين دولاً متخلفة في القوة والصناعات فظن الناس لذلك أن الإلحاد سبب للقوة والعلم، وأن الدين يعني التخلف والجهل، ولما كان للعلم المادي آثاره الظاهرة والباهرة من تيسير حياة الإنسان على ظهر الأرض ونشر الرفاهية والرخاء فإن الناس انصرفوا عن العقائد الدينية وآمنوا بالعلم المادي كإله جديد قادر على أن يذلل لهم كل الصعاب على هذه الأرض، بل أطمعهم هذا الإله

<sup>16</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

المادي أيضاً في الوصول إلى الكواكب الأخرى وتسخيرها في خدمة الإنسان وهكذا ساعد اقتران العلم المادي والكشوف الجديدة بالإلحاد على ظن الناس أن العلم ثمرة ونتيجة للإلحاد، وكان هذا خطأ عظيماً عمت بسببه موجة الإلحاد.<sup>17</sup>

#### 4. هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية:

يقول الشيخ عبد الرحمان عبد الخالق في بحثه حول الإلحاد تحت هذا العنوان: ( ما كاد الأوروبيون يمتلكون القوة المادية، ويستخدمون الآلة، وبينون المصانع حتى اتجهوا إلى دول العالم بحثاً وراء الأسواق لمنتجاتهم الصناعية، وجلباً للمواد الخام اللازمة للصناعة. ولما كانت هذه الدول تطمح في الحصول على ما تريد بأبخس الأثمان أو بلا ثمن أصلاً فإنها استخدمت قوتها العسكرية النامية للحصول على ما تريد. ولما كان العالم الإسلامي في غاية التخلف والفقير والضعف العسكري والسياسي، فإنه لم يصمد طويلاً أمام الهجمة الأوروبية الاستعمارية، وكان للهزيمة العسكرية التي مني بها المسلمون أمام الغزو الأوربي أثرها البعيد في زلزلة العقائد الإسلامية، وانحسارها أمام المد الإلحادي الذي حمله المستعمرون الأوروبيون، وطفقت الشعوب الإسلامية، تقلد المستعمر الأوربي وتتشبه بأخلاقه وعاداته، وتدخل في عقيدته الإلحادية ظناً منها أن الأوروبيين لم يصلوا إلى القوة إلا برفضهم للدين، وكانت هذه خطيئة جديدة وسبباً آخر أسهم في الظاهرة الإلحادية العالمية.<sup>18</sup>)

و لا شك أن أعظم الأسباب في نشر الإلحاد بين المسلمين غزو الصليبيين لديارهم ( يقول القس زويمر في مؤتمر القدس سنة 1935م وهو يخاطب المبشرين بالنصرانية في العالم الإسلامي ما نصه (.. إن مهمة التبشير التي نذبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية - ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية - فإن في هذا هداية لهم وتكريماً (!!)) وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك

<sup>17</sup> الإلحاد، عبد الرحمان عبد الخالق

<sup>18</sup> الإلحاد، عبد الرحمان عبد الخالق

الإسلامية. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهئة <sup>19</sup> (( وكان من أهم وسائلهم التلبس على المسلمين لإضلالهم، ولا عجب أن يتفق الصليبيون في ذلك مع أسانذتهم الصهاينة الذين ينظرون إلى الكل على أنهم أميون أو أميون إذ يقول حكماؤهم في بروتوكولاتهم:

( ولهذا السبب سنحاول ان نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو تقديمية أو تحررية. لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية. ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطيع ان يلاحظ انه في كل حالة وراء كلمة " التقدم " يختفي ضلال وزيف عن الحق، ما عدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة إلى كشف مادية أو علمية. <sup>20</sup>)

## 5. الحياة الجديدة:

### أ - مباحها وفتنها:

( فتح العلم المادي للناس أبواباً عظيمة من أبواب الرفاهية والترف ومغريات الحياة، فالمرائب الفخمة من سيارات وطائرات، وقطارات، ووسائل الاتصال ووسائل الراحة والتسلية، والمطاعم والمشارب الفاخرة، والألبسة الأنيقة، والتفنن العجيب في التلذذ بالحياة، والجري وراء الشهوات والمغريات كل هذا فتح على الناس ألواناً لم يعهدوها من الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الشهوات والملذات. <sup>21</sup>)

وتثبت الإحصائيات ما وصل إليه الغرب من بذخ و تبذير، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ بقايا المواد الغذائية التي ترمى في النفايات 25 % من المعدل للاستهلاك، أي إذا أكل الأمريكي قطعة حلوى فإنه يرمي ربعها في الزبالة. و المذهل في الأمر أن تلك ال 25 % تكفي لسد حاجة قارة كإفريقيا التي تعاني باستمرار من المجاعة (\*)، غير أن حضارة " الكوكاكولا " تأبى على أصحابها ظلم أوعية القمامات حرمانها حقها.

<sup>19</sup> الولاء و البراء، محمد بن سعيد القحطاني (ص:391)

<sup>20</sup> بروتوكولات حكما صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي (96)

<sup>21</sup> الإلحاد، عبد الرحمان عبد الخالق

( ولما كان الدين بوجه عام ينهى عن الإسراف ويأمر بالقصد والاعتدال، ويحرم الاستمتاع بالحرام كالخمر والزنا والتعري فإن الناس الذين يجهلون سر أمر الدين بذلك ظنوا أن هذه قيوداً على حريتهم، وحجراً لمذاتهم وشهواتهم فزادوا لذلك بعداً عن الدين، وكراهية لمن يذكرهم بالآخرة ومن يحذرهم من نار أو يطعمهم في جنة. وبذلك أيضاً ازدادت غربة العقائد الدينية وانتشرت عقائد الإلحاد والزندقة. )<sup>22</sup>

### ب - دوامتها و شغلها لوقت الإنسان المعاصر:

( كان لانطلاق الناس الصارخ نحو العبّ من الحياة والاستمتاع بكل ما أفرزته الحضارة الغربية من ملهيات ومغريات، واقتناء كل مستطاع من وسائلها الحديثة أثره البالغ في انشغال الناس عن كل شيء حتى عن أنفسهم، فضاعف الناس ساعات عملهم طمعاً في المزيد من الأجور ولتحصيل المزيد من وسائل الراحة كالغسالات والثلاجات والسيارات، ونحوها، وفي سبيل ذلك أيضاً انطلقت المرأة من المنزل لتشارك الرجل أعباء الحياة وتكاليفها الجديدة، وللحصول على مزيد من الرفاهية والراحة، وابتدأ السعار المجنون والرغبة الجامحة نحو اقتناء مغريات الحياة فتطلب ذلك زيادة في الجد والنشاط وانشغالاً بالليل والنهار، وهكذا بدأت دوامة الحياة تطحن الإنسان المعاصر وتشغله في ليله ونهاره ولا تترك له فرصة للتفكير في نفسه أو في مصيره فهو يعمل في متجره أو مصنعه ويعود لملهياته وشهواته ثم يعود إلى عمله وهكذا دون أن تترك له الحياة المعاصرة وقتاً للفراغ يستطيع فيه أن يفكر في حقائق الدين، وأن يجيب عن الأسئلة الخالدة التي تتردد داخل كل نفس: من خلق هذا الكون؟ ومن خلقنا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وهل لهذا العالم نهاية؟ وهل له من بداية؟ ولماذا يعيش الناس متفاوتين فهذا غني وهذا فقير، وهذا ظالم، وذاك مظلوم، وهذا قاتل، وذاك مقتول؟ وفيم كل هذا؟ بل بقيت هذه الأسئلة حائرة في أكثر النفوس وبلا جواب وذلك أن الإنسان المعاصر المستهلك الذي تطحنه دوامة الحياة لا يجد وقتاً للتفكير في كل هذه الأسئلة.

هذه هي الأسباب البارزة لوجود ظاهرة الإلحاد وانتشارها على هذا النحو الذريع

(\*) هذه المعلومة استفدتها من شريط فيديو للأستاذ مقرئ الإدريسي  
22 الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

والآن كيف أثرت هذه الظاهرة في حياتنا المعاصرة وما آثارها على التحديد؟<sup>23</sup>

### الباب الثالث: آثار الإلحاد في حياة الإنسان

بالرغم من حمل المدنية الغربية للإنسان الرفاهية و سهولة العيش التي كان يرمي لها مفكروه وقادته، و ظنوا بأن الدين - أيّ دين - يحول دون ذلك، فإنهم بإلحادهم بالله وبعدهم وتنصلهم من القيم الأخلاق، لم يجنوا إلا النكد والشقاء و التيه.

(وقد يمتع الله عدوه الكافر بالرزق والجنات والأنهار والقوة المادية، ولكنه متاع غير هنيء، بل متاع مقترن بالقلق والشقاء والظلم، ثم إن الذي يستقيم على منهج الله يتمتع برزق الله وهو له أهل، بخلاف من لم يؤمن بالله، فإنه تعالى يمتعهم برزقه ابتلاء لهم، وزيادة في شقائهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: (( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون )) [الأعراف: 32] <sup>24</sup>

ونجمل آثار الإلحاد على حياة الإنسان فيما يلي:

#### 1. القلق و الصراع النفسي:

( إن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي. وذلك أن داخل كل إنسان منا فطرة تلح عليه، وأسئلة تتلجج في صدره: لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسير؟ وإذا كانت زحمة الحياة، وشغلها الشاغل يصرف الإنسان أحياناً عن الإمعان في جواب هذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون فإن الإنسان يصطدم كثيراً بمواقف وهزات تحمله حملاً على التفكير في هذا السؤال، فالأمراض والكوارث، وفقد بعض الأهل والأحبة، والمصائب التي تصيب الإنسان ولا بد تفرض على الإنسان أن يفكر في مصيره ومستقبله، ولما كان الإلحاد عقيدة جهلانية لأنه يقوم على افتراض عدم وجود إله - فإنه لا يقدم شيئاً

<sup>23</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

<sup>24</sup> أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، عبدالله قادري الأهدل (3)

يخرج هذا الإنسان من الحيرة والقلق والالتباس ويبقى لغز الحياة محيراً للإنسان ويبقى رؤية الظلم والمصاعب التي يلاقيها البشر في حياتهم كابوساً يخيم على النفس ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً. ومع إلحاح نداء الفطرة الداخلي وتردد تلك الأسئلة الخالدة في النفس يظل الإنسان قلقاً معذباً.<sup>25</sup>

إن ( الحضارة الغربية اليوم تعرت نهائياً عن كل قيمة غير القيم المادية المنفعية المحسوبة عدا ونقداً أو استثماراً وانتظاراً. المادية هي دين الديمقراطيات الغربية النصرانية اسماً كما هي دين الاشتراكيات الشيوعية الملحدة مبدأً. دينها جميعها القوة العسكرية، والتوازن الاستراتيجي، والمصالح الاقتصادية، والتسابق إلى المراكز ذات الأهمية الجغرافية السياسية. و في داخل تلك المجتمعات يتجه الإنسان نحو التمتع الدوابي، إلى الزنى واللواط اللذين أصبحا أمراً عادياً، بل نشاطاً يحميه القانون، إلى الجريمة والمخدرات إلى " الفن " وكل ما تعطيه الكلمة من صور الهروب من الواقع، حتى إذا استنفذ الإنسان كل ما جاءته به المادية من أمن في المعاش ومن فرص اللذة، غدا ينتحر بجنون، ينتحر لينسى فراغه، لينسى هذا النعيم الدوابي الذي تضج منه الفطرة البشرية).<sup>26</sup>

( وقد كان المجتمع القديم أيضاً مجتمعاً ساذجاً فطرياً يعرف الناس فيه بعضهم بعضاً ويتعاونون في الملمات ويفزع بعضهم البعض في المصائب. ولكن المجتمع الحديث مجتمع المدينة الصاخب باعد الناس بعضهم عن بعض وأصبح لكل فرد منهم همومه ومشكلاته، وأصبح الإنسان المعاصر لا يجد من يشكو إليه قلقه ومشكلاته ولا يتصور أن يجد من يمد له يد العون لو زلت قدمه وأصابته مشكلة أو فاقة وبذلك تعاظم الخوف من المستقبل والحذر من الأيام، واهتم الناس بأنفسهم وأصبحوا حريصين ماديين يجمعون ويدخرون ولا ينفقون. ومع الخوف من المستقبل والحذر من الأيام زاد القلق والاضطراب والتوجس والتوجع. ولو كان ثمة إيماناً بالله وتصديقاً بالغيب ومعرفة بالقضاء والقدر لحلت هذه المعضلة ولكن الإلحاد الذي يفترض ويزعم أن الإنسان يقوم وحده في هذا الكون وأنه لا يوجد إله يقيمه ويرزقه كرس قلق

<sup>25</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

<sup>26</sup> الإسلام و القومية العلمانية، عبد السلام ياسين

الإنسان وخوفه من المستقبل واتجاهه للأناية والفردية. ( 27

## 2. الأناية والفردية:

( الحرية الفردية في الاقتصاد، التي هي أساس في معسكر الدول الغربية: الولايات المتحدة الأمريكية ودول غرب أوروبا، كل فرد له الحق أن يملك ما يشاء من الأموال فأباحوا الملكية الفردية إباحة مطلقة، فله أن يملك ما ينتفع به من ملابس وأوان وأثاث منزلي وغيرها مما يحتاج إليه الفرد لنفسه، وله أيضاً أن يملك ما يشاء من المرافق والوسائل التي تنتج الأشياء المستهلكة، ليبيعه لغيره، كالألات والأراضي والمواد الخام بدون استثناء.

وهو حر في سعيه لجمع المال بوسائله، ينتج ما يشاء ويبيع بالسعر الذي يريده، يتفق مع المشتري والأجير بكامل حريتهم، وفائدته الذاتية هي الدافع المحرك الأول له في الإنتاج والسعي، دون التفات إلى منافع غيره، وذلك كفيل عندهم أن تتال الجماعة مصالحها من خدمة الأفراد الذين أعطيت لهم تلك الحرية... وهم يتنافسون فيما بينهم، وليس للدولة أن تتدخل في حرية تجارة الأفراد وسبل إنتاجهم وأساليب تعاملهم مع غيرهم. ( 28

( والمطلع على أحوال المجتمع الإلحادي في الغرب والشرق يرى إلى أي حد أصبح الناس ماديين أنانيين لا يهتم الفرد إلا في نفسه، ولا يهتم بالآخرين إلا بقدر ما يعود هذا على نفسه من منافع. وقد ضاعف هذه الأناية والمادية اتجاه الناس نحو العب من الملذات والشهوات التي يسرتها الحضارة الحديثة وأباحتها قوانين الإلحاد التي تكفر بالآخرة وتجعل حياة الإنسان الخاصة ملكاً له. فانطلق الناس لذلك نحو شهوات أنفسهم يستزيدون منها بقدر طاقتهم وجهودهم وأهملوا في سبيل ذلك العطف والإحسان والعناية بالآخرين. وبذلك نشأ الإنسان المادي النفعي المعاصر الذي أصبح علماً ورمزاً للحضارة الأوروبية الإلحادية التي تغزو العالم الآن. ( 29

27 الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

28 أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، عبدالله قادري الأهدل (75)

29 الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

### 3. فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام:

إن الدين قبل أن يحل و يحرم يربي في الناس الإيمان و يغرس في نفوسهم الوازع، فيتحرر الناس من العبودية إلا لله، فإذا أمر اتمروا وإذا نهى انتهوا ( بخلاف من أسر لشهوته وهواه أو لطاغية، فإنه يقدم على المعاصي والجرائم ولا يبالي بضرر الناس وأذاهم.

ولما كان معنى الحرية عند كثير من الناس هو الانطلاق الكامل في الاستمتاع بما يقدر عليه الفرد، ترتب على ذلك الاعتداء على المحرمات، واصطدمت الرغبات ونجم النزاع، ونتج عن ذلك اختلال الأمن في أرجاء المعمورة على الضرورات التي لا حياة بدون حفظها).<sup>30</sup>

و ( لأن الإلحاد لا يربي الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي قادر يراقب تصرفاته وأعماله في هذه الأرض فإن الملحد ينشأ غليظ القلب عديم الإحساس قد فقد الوازع الذي يردعه عن الظلم ويأمره بالإحسان والرحمة. بل على العكس من ذلك فإن الإلحاد يعلم أتباعه أنهم وجدوا هكذا صدفة ولم يخلقهم خالق أو أنهم خلقوا أنفسهم وأنهم حيوانات أرضية كسائر الحيوانات التي تدب على الأرض وبذلك يغلظ إحساسهم ويتنامى شعورهم بالحيوانية والانحطاط ويتجهون إلى إثبات ذواتهم بالإغراق في الشهوات والملذات، وإذا منعهم ظروفهم المعاشية أو القوانين الوضعية البشرية عن بلوغ غاياتهم وأهدافهم الحيوانية فإنهم يقومون بالتغلب على تلك الظروف وذلك إما بالحيلة والمكر وإما بالقوة والغلبة وفي كلا الأمرين لا يجد الإنسان الملحد رادعاً داخلياً يردعه لأنه لا يخاف رباً ولا يرجو حساباً. ولا يبقى أمام الملحد من وازع إلا القانون البشري أو ظروفه الواقعية وهذه أمور يمكن التغلب عليها بصور كثيرة وخاصة في المجتمع المعاصر الذي تفنن الإنسان فيه في طرق الإجرام والتهرب من القوانين. وقد يبقى في بعض الأنفس التي تدين بالإلحاد شيء من نداء الفطرة ومحاسبة الضمير ولكن هذا النداء الداخلي المسمى بالضمير سرعان ما يزول ويتلاشى في زحمة الحياة الراكضة وأمام مغرياتها الكثيرة.

وهذا الأثر من أعظم آثار الإلحاد في حياة الإنسان فعالمنا المعاصر هو عالم الجريمة

<sup>30</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

والخوف. فكل يوم تطالعنا وسائل الاتصال من صحف وكتب وإذاعة وغيرها بأخبار الجرائم البشعة التي بلغت من الحدة والعنف والشذوذ والتلذذ بتعذيب الآخرين وشرب دمائهم. والتمتع برؤية صراخهم واستغاثاتهم - هذا إلى حوادث السرقة والسطو والاغتصاب والقتل التي تتزايد يوماً بعد يوم - ولعل حادثة انقطاع النور المشهورة عام 1977م عن مدينة نيويورك حيث اكتشف الناس في الصباح أن آلاف المحلات التجارية والمخازن والبيوت قد نهبت عن آخرها وأنه اشترك في هذه السرقة الجماعية معظم الناس على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم وأعمارهم حتى رجال الشرطة أنفسهم المكلفون بالحراسة شاركوا هذا المهرجان الشائن في السرقة والسطو.

ويقدر الخبراء أنه لو استمر انقطاع النور هكذا أسبوعاً واحداً ولم تتدخل فرق من الجيش لخربت المدينة عن آخرها. فكيف إذا تراخى الأمن في ظل الأزمات أو الحروب لا شك أن هذا المجتمع سيأكل بعضه بعضاً. ولا شك أيضاً أن هذه ثمرات حتمية من ثمار الإلحاد. <sup>31</sup>

و نفس الدولة أصدرت ( قانونا بحظر الخمر والعقاب عليها، و [ جندت ] كل قواها البشرية والمالية، ووسائل إعلامها، [ وفتحت ] سجونها على مصراعيها لملئها بالجناة الذين لم يستجيبوا لتطبيق القانون الذي صدر في 16 يناير عام 1919م على أن ينفذ عام 1920م، وسبق المنع حملة واسعة من التوعية في جميع وسائل الإعلام، وفي المدارس والمصانع، وصار تدريس أضرار الخمر جزءاً من المواد الدراسية التي يدرسها الطلبة في الابتدائي والثانوي والجامعة.

وبذلت جهود جبارة في التوعية، حتى لقد سوت تسعة ملايين صفحة تبين أضرار الخمر الطبية، والاجتماعية، والأخلاقية، وبلغت تكاليف الحملة الإعلامية في ذلك العام فقط خمسة وستين مليون دولار (عام 1920م، قيمتها اليوم أكثر من 650 مليون دولاراً) ولكن لم يكن يمضي على إغلاق الحانات ومصانع الخمر أيام قلائل إلا وابتدأت تنتشر آلاف الحانات السرية..

وفي غضون أشهر قليلة زاد شاربو الخمر عمّا كانوا عليه قبل المنع.. وقدم إلى المحاكمة ملايين الأشخاص.. وسجن ما بين 1920 و1933 نصف مليون شخص،

<sup>31</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

لإدانتهم بشرب الخمر والاتجار بها أو حيازتها، وقدم إلى القضاء في تلك الفترة مجرمون عتاة ارتكبوا جرائم مروعة بسبب الخمر، وقد أدانت المحاكم الكثير منهم، وحكمت على مائتين من عتاة المجرمين بالقتل... لجرائم متعلقة بالخمر، كما قامت الحكومة بمصادرة أملاك ومصانع الخمر السرية، وبلغ قيمة الأموال المصادرة عندئذ أربعمئة مليون دولار.

ومع هذا فقد انتشرت العصابات الإجرامية... وأفلت كثير منها من قبضة القانون. تلك الدولة هي الحكومة الأمريكية!

ومما ذكرنا يبدوا أن الحكومات الأمريكية المتعاقبة في الولايات المتحدة في فترة المنع، وهي ما بين 1920 و 1933م، كانت جادة في تطبيق القانون، فقد بذلت في ذلك جهوداً جبارة، ولكن تلك الجهود المضنية باءت بالفشل، وصار من المحتم على الحكومة الأمريكية والكونغرس الأمريكي أن يعيدا النظر في قرار المنع ذلك، إذ وجدت الحكومة الأمريكية أن ملايين الأمريكيين قد أقبلوا على شرب الخمر السرية الرديئة، وزاد الإقبال عليها خاصة بين الشباب...

وقد انتشرت إحصائيات مرعبة عن الوفيات الناتجة عن شرب تلك الخمر الرديئة، ففي عام 1927م فقط هلك من استعمال تلك السموم الناقعة سبعة آلاف وخمسمائة شخص، كما أصيب بأمراض وبيلة من جراء شربها أحد عشر ألف شخص في ذلك العام، وازدادت نسبة الجرائم كلها من هتك للأعراض، من سرقة، وقتل، وتضاعف عدد المجرمين ثلاثة أضعاف ما كان عليه قبل المنع، وصرح الكولونيل موسى رئيس المجلس الوطني للجريمة... في ذلك الوقت، بقوله: إن واحداً من كل ثلاثة أمريكيين يتعاطون الخمر، وإن الجرائم قد ازدادت بنسبة ثلاثمائة بالمائة عما كانت عليه قبل... وبذلك عادت الولايات المتحدة إلى السماح بصناعة الخمر وبيعها والاتجار بها والإعلان عنها... [الخمر بين الطب والفق، لمؤلفه الدكتور محمد بن علي البار ص:

100-103 مع شيء يسير من التصرف والاختصار) <sup>32</sup>

<sup>32</sup> أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، عبدالله قادري الأهل (90-91)

#### 4. هدم الأسرة و تخريب المجتمع:

الإنسان لا يجد راحته واستقراره إلا في أسرة هادئة دافئة مستقرة، و هذا إن حقّ فيما يتعلق بالكبار فهو فيما يتعلق بالصغار أحق فإن ( الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل ... والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للأحياء الأخرى، وذلك أن مرحلة الطفولة، هي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب، للدور المطلوب من كل حي باقي حياته.

ولما كانت وظيفة الإنسان هي أكبر وظيفة، ودوره في الأرض هو أضخم دور، امتدت طفولته فترة أطول، ليحسن إعداده وتدريبه للمستقبل، من ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشد من حاجة أي طفل لحيوان آخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة، ألزم للنظام الإنساني وأصق بفطرة الإنسان تكوينه ودوره في هذه الحياة.

وقد أثبتت التجارب العلمية أن أي جهاز آخر غير الأسرة، لا يعوض عنها، ولا يقوم مقامها، بل لا يخلو من أضرار مفسدة، لتكوين الطفل وتربيته...<sup>33</sup> (ومعلوم أن الأسرة هي الخلية الأولى في النظام الاجتماعي. وعندما فسدت البشرية فسدت الروابط الأسرية فالزوج الفاسد المنحل لا بد وأن يمتد فساده إلى زوجته وأولاده، والزوجة الفاسدة التي لا تراقب الله سبحانه وتعالى ولا تخافه لا بد وأن ينعكس هذه على أسرتها كلها: زوجها وأولادها... وهكذا ابتدأنا نسمع في ظل الإلحاد المعاصر عن انهيار عقد الزواج الشرعي الشريف الذي يقصر المرأة على رجل واحد وتقيم علاقات متوازنة بين الأزواج ويوزع المسؤولية في الأسرة توزيعاً عادلاً موافقاً للفطرة البشرية التي خلق الله عليها كلاً من الذكر والأنثى، وبانهيار عقد الزواج الشرعي أصبحت علاقات الأزواج علاقة متعة ومنفعة مجردة وبذلك قلت التضحيات التي لا بد منها فالزوج المخلص الوفي لا بد وأن يضحي بشيء من شهواته في سبيل أسرته، والزوجة الوفية كذلك التي قد تضطرها ظروفها أن تعيش مع زوج فقير أو مريض وأن تكافح لخدمة غيرها وتربية أولادها. ولكن في ظل العقيدة الإلحادية التي لا تؤمن بالآخرة ولا بالجزاء، فإنه لم يبق ما يحمل بالزوج أو

<sup>33</sup> في ظلال القرآن 234/2 - 235

الزوجة على التضحية والفداء. وكذلك الحال بالنسبة للأبناء أيضاً الذين يتعلمون في ظل التوحيد أن يعبدوا الله بالإحسان إلى آبائهم، وأن يجاهدوا في سبيل مرضاتهم وكفالتهم في أحوال العجز والكبر ولكن العقيدة الإلحادية التي تقوم على النفعية المادية تنظر إلى خدمة الآخرين على أنه سخافة وغباء ما دام أنه لا يحقق نفعاً قريباً. وبهذا ماتت المشاعر الجميلة والروابط الطبيعية التي كانت تمسك بزمام الأسرة وتؤلف بين قلوب أفرادها.

ولم تقتصر الآثار السيئة للإلحاد على هذا الفساد في الأسرة، بل تعدى ذلك إلى أنواع عجيبة من الفساد ففي ظل الانهيار الخلفي والرغبة المجنونة في جني الميزات والركض وراء الشهوات الجنسية أصبح التمسك بعقد الزواج الشرعي نوعاً من الغباء وبذلك أيقن الرجال في كثير من الأحيان أن أبناءهم الذين ولدوا على فراشهم ليسوا من ظهورهم بالضرورة وأيقن الأخوة كذلك أنهم لا ينتمون إلى أب واحد وبذلك انهدمت مشاعر القربى والرحم التي لا يمكن أن تنشأ إلا في مجتمع نظيف طاهر. وبانهيار مشاعر القربى والرحم كالأخوة والأبوة والعمومة ونحوها انهدمت متعة عظيمة من المتع الروحية والنفسية التي لا غنى عنها للإنسان وحل مكان ذلك المتع الجسدية المادية البليدة وبهذا تحول الإنسان شيئاً فشيئاً نحو الحيوانية والمادية وتفككت بذلك أيضاً عروة الأرحام والقرباة بعد أن تفككت الأسرة وقيمها الجميلة. وبهذا أضحى الطلاق وهجران البيوت وخيانة الزوجية شيئاً عادياً يومياً، وأصبح الرجل يرى أصدقاء ابنته ولا يأبه لذلك بل يدفعها لهذا، وكذلك يرى صديقات ابنه ولا يأبه لذلك لأن الناس آمنوا في ظل الإلحاد أن على كل إنسان أن يسلك السبيل الذي يريد، وأن كل إنسان مسئول عن نفسه فقط. )<sup>34</sup>

فإذا كان هذا حال الأسر، فإن حال مجتمع يتألف منها بالتالي معلوم.

أمثال تلك الأسر هي التي ( تقذف إلى المجتمع كل يوم بلبنات فاسدة وتأتي هذه اللبنات الفاسدة وتأخذ مكانها في الهرم الاجتماعي الكبير فالفرد يكون مسئولاً في دائرة أو حاكماً أو طبيباً أو مهندساً أو مدرساً أو عاملاً.. وكل فرد من أفراد المجتمع يتعامل مع المحيطين به بالأخلاق والسلوك الذي كسبه في حياته وخاصة في مراحل

<sup>34</sup> الإلحاد، عبد الرحمان عبد الخالق

نشأته الأولى في أسرته وهكذا تطفح الأنانية والفردية وغياب مراقبة الله سبحانه وتعالى في جميع المعاملات وأنماط السلوك التي يمارسها الفرد، وهكذا تصبح العلاقات التي تحكم تصرفات الفرد في شكل هذا المجتمع علاقات المنافع المادية والمصالح الشخصية، وتختفي التضحية والفدائية والصبر والرغبة في إسعاد الآخرين ونفع الناس وهكذا تتحول الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة وجميع أجهزة الدولة إلى أن تصبح مطايا للمآرب الشخصية، وهكذا لا يزال الناس يكتشفون في كل يوم الفساد الإداري والوظيفي واستغلال النفوذ، وأخذ الرشوة والتحايل على القوانين والتلاعب بأموال الدولة وكذلك الظلم والقهر.

إن المجتمع الحديث في ظل الإلحاد أصبح شبيهاً بمجتمع الغابة الذي يحاول كل حيوان فيه أن يفترس الآخر وبهذا يلجأ الضعيف إلى التخفي والخداع ويلجأ القوي إلى البطش والقسوة والعنف.

والذين يطالعون أحوال المجتمع الغربي الآن يرون إلى أي حد أصبحت الجريمة عملاً يومياً، وسلوكاً منظماً متطوراً فبالرغم من توفر الزنا والرذيلة ينتشر الاغتصاب للنساء بصورة مذهلة، وبالرغم من توفر الفرص للعمل والإنتاج نجد السطو والسرقات المسلحة التي يمارسها الناس على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وأسنانهم ولا يكاد يمر يوم واحد حتى تقع في كل مدينة عشرات بل مئات من حوادث القتل والإجرام.

وهكذا في ظل الإلحاد وعدم مراقبة الله سبحانه وتعالى وتذكر الآخرة تتحول المجتمعات إلى مستنقع آسن للرذيلة والفجور، وتصبح الجريمة عملاً يومياً ويصبح التحايل على القانون واستغلال النفوذ وظلم القادر للضعيف ونفاق الضعيف أمام القوي خلقاً وديناً ومنهجاً جديداً تسير عليه المجتمعات المنحلة البعيدة عن الله سبحانه وتعالى. ( 35 )

## 5. الفساد السياسي الدولي:

( لعل [ من ] أعظم آثار الإلحاد هو آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول. وذلك أن الأخلاق المادية الإلحادية التي جعلت قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية دفعت الإنسان إلى تطبيق هذه القسوة والأنانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضاً. ولذلك رأينا الدول الاستعمارية الكبرى تلجأ إلى وسائل خسيصة جداً في استعباد الشعوب الضعيفة والحصول على خيراتها ونهب ثرواتها وبلادنا الإسلامية بوجه عام والعربية بوجه خاص هي أشقى البلاد الضعيفة بهذه السياسات المادية الإلحادية فهي تقع دائماً تحت التهديد بالقهر والتدخل العسكري كلما حاولت دولنا الإسلامية أن تحصل على شيء من حقوقها الضائعة أو أموالها المنهوبة... )

ولعل في قضية البترول وسعي الدول الإسلامية للحصول على أثمان معقولة له والاستفادة بهذه الأثمان خير دليل على السلوك الاستعماري الارهابي الأناني ضد هذه الدول الإسلامية فقد اتهمتنا الدول الاستعمارية أننا نريد تدمير الاقتصاد العالمي، واستعباد البشرية وتدمير الحضارة وذلك لمجرد المطالبة بشيء من حقوقنا وهددت تلك الدول الاستعمارية عشرات المرات أنها ستحتل آبار النفط وتأخذ بالقوة إن عمدت دولنا إلى منعه عن أعدائنا أو زيادة أسعاره.<sup>36</sup>

و هاهو احتلال حلفاء الظلم و الاستكبار للعراق يشهد على هذا الذي نقول، فما إن توغلت جنودهم في أرض العراق حتى سارعوا إلى تأمين آبار البترول ، وما إن دخلوا العاصمة بغداد حتى أحاطوا بوزارة النفط لحمايتها من السلب و النهب - الذي لم يكد يخل منه مكان هناك - وحفظ ما فيها من وثائق ومعلومات، ليكشفوا بذلك عن أهم أهدافهم من وراء ذلك الغزو الغاشم.

( وهكذا يصطي العالم الآن بنار المادية الأنانية العالمية التي تمارسها الدول الاستعمارية الكبرى التي تقوم الآن على استعباد الشعوب ونهب خيراتها وإيقاعها فرائس للقلق والخوف والفوضى والاختلاف حتى يسهل عليهم استلاب خيراتها وسرقة ثرواتها ... )

ومن يشاهد الآن ما تلجأ إليه الدول الكبرى لتدمير الشعوب الصغيرة يجد عجباً فهذه

<sup>36</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

الدول تستخدم أسلحة رهيبة جداً لذلك كالمخدرات، والدعاية السوداء والحرب النفسية والنساء وتربية العملاء وكذلك القتل والتشريد لكل العناصر الطيبة المخلصة لأوطانها وأمتها.

وهكذا استطاع الإلحاد والبعد عن الله سبحانه وتعالى أن يحول المجتمع الإنساني كله إلى مجتمع بغيض جداً يقوم على الظلم والقهر والنهب والخوف الدائم من الدمار والخراب وهذا بدوره يؤدي إلى تدمير نفس الإنسان المعاصر وهروبه الدائم من واقعه ولذلك انتشرت المخدرات والمهدئات والإغراق الجنسي، وكذلك دفعت هذه السياسات العالمية الفرد إلى مزيد من الأنانية وحب الذات والحرص على المال بكل سبيل وطلب النجاة لنفسه فحسب، والعيش ليومه فقط وهكذا خلق الإلحاد الدوامة المعاصرة التي تلف الإنسان في عصره الراهن عصر القلق والأنانية والإجرام والفوضى.<sup>37</sup>

## الباب الرابع: كيفية تعالج ظاهرة الإلحاد؟

عرفنا مما سبق الإلحاد و أسبابه وآثاره، فنأتي إلى هذا الباب لنتعرف على وسائل علاجه والطرق التي أرشد إليها الإسلام لدفعه والوقاية منه:

### 1. الإيمان بالله و توحيدة:

إذا كان ما يحصل للفرد و المجتمع من اضطراب و فقدان للتوازن من جراء الإلحاد و البعد عن منهج الله، فإن ذلك رهين بتحقيق قضية خطيرة بالغة الأهمية، ألا وهي قضية ( الحرية الكاملة من عبودية غير الله، من هوى و نفس و شيطان و ملذات و طغاة، فإذا تمكنت عبوديته [أي الإنسان] لله من قلبه، و تحرر من عبودية غير الله، كان أهلاً لأن يأمنه الناس على كل شيء، لأنه لا يستجيب لرغبة، و لا يخضع لرهبة، و لا يقوده إغراء و لا شهوة، و لا يتبع هوى، وإنما يستجيب لأمر الله، و أمر الله لا يوجد فيه إلا عمل الخير الذي فيه غاية الأمن لكل البشر.

والذي يعتدي على حقوق الله أو حقوق عباده، إنما يفعل ذلك بسبب استرقاق الشهوات لقلبه الذي لم تتمكن من عبودية الله منه، وإنما تمكنت منه عبودية غيره، فهو أسير شهواته و هواه ولو كان في ظاهر أمره ملكاً للناس.

وقد دل القرآن الكريم على أن الذي يحقق عبودية الله في نفسه، يسلم من عبودية غيره، والذي لا يحقق عبودية الله في نفسه، يكون عبداً لثمتى مخلوقاته، فالحرية الحقّة هي عبودية الله الواحد، و العبودية المذلّة هي الخضوع لغير الله، قال تعالى: ((ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون و رجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)) [الزمر: 29].

والمثل مضروب لتقريب المعنى للأفهام، فالذي يكون مملوكاً لعدد من الناس يلقي عنناً و مشقة في إرضائهم، و لا يجد منهم رافة به و لا إعانة على مصالحه، بخلاف من كان مملوكاً لمالك واحد، فإنه يرضيه بطاعته و لا يجد من يعارضه في ذلك، و يثيبه مالكه على عمله و يعرفه له، فالذي يعبد الله وحده هو الحر الذي لا تستعبده آلهة شتى، والذي لا يعبد الله وحده يكون مسترقاً لتلك الآلهة المتعددة: آلهة الطواغيت التي تأمره بالمنكر فيفعله، و تنهيه عن المعروف فيتركه، و آلهة الشهوات التي تدعوه إلى

الوقوع فيها والاعتداء على حقوق الناس، وهذا هو العبد الذليل الحقير لهواه وشهواته، فَقَدَ العزّة التي تتال بعبادة الله، فأبدله بها الذل لغيره.

وهذا ما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة {الخميصة كساء مخطط جميل}، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش). هذا هو الذي لم تتمكن العبودية الحقّة من قلبه، فأصبح عبداً لكل شيء... .

هذا، ولابن تيمية رحمه الله كلام جميل بديع في معنى الحرية في غاية من الدقة والعمق، فهو لا يعتبر من غلبته شهوته وهواه حراً في عرف الشرع، ولو كان سيداً مطاعاً في الأرض، وإنما يعتبر الحر من تحققت فيه العبودية لله، وتخلص من عبوديته لغير الله.

قال رحمه الله: "فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر، لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب - الذي هو ملك الجسم - رقيقاً مستعبداً متيماً لغير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب، وعبودية القلب وأسرته هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافرٌ أو استرقه فاجرٌ بغير حق، لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات... أما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير الله، فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس، فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب...". [من كتاب العبودية ص: 96-97 طبع المكتب الإسلامي].<sup>38</sup>

كما أن الأمن لا يحصل لإبتحقيق الإيمان بالله و الانقياد لشرعه، ( والمراد بالأمن هنا اطمئنان الفرد والأسرة والمجتمع على، أن يحيا حياة طيبة في الدنيا، لا يخافون على أنفسهم وأموالهم وعقولهم ونسلهم، من الاعتداء عليها، أو على ما يصونها ويكملها. وكذلك الاطمئنان على سعيهم إلى كل ما يرضي ربهم، لينالوا الأمن في الآخرة بإحلال رضوانه عليهم، وينعموا بجزيل فضله وثوابه، والنجاة من عقابه... .

والأمن الدنيوي الذي يرزقه الله الأمم، لا يدوم مع الكفر، بل يبدلها الله به الخوف

<sup>38</sup> أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، عبدالله قادري الأهدل (84-85-86)

والجوع والحياة النكدة والضنك، كما قال تعالى: ((وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)) [النحل: 112]...

فالأمة التي تؤمن بالله وتعمل صالحاً، فتعبد الله ولا تشرك به شيئاً، هي الأمة الجديرة بالاستخلاف والتمكين والأمن في الأرض، كما هي جديرة بالأمن التام يوم القيامة يوم الفرع الأكبر، كما قال تعالى: ((إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا، أفمن يلقى في النار خيراً أم من يأتي آمناً يوم القيامة، اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير)) [فصلت: 40] <sup>39</sup>

وقد ( جعل الإسلام دعوته تبدأ من توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار أنه إله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الأول بل والأخير للرسالات السماوية جميعاً هو إقرار هذه القضية العظيمة من قضايا الدين قال تعالى: ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) [النحل: 36]. وقال تعالى: ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويسيئوا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة ) [البينة: 5] وجعل الله سبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الإنسان على هذه الأرض هو أن يعبد الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) [الذاريات: 56] وبهذا جعل الدين الإسلامي هدف الإنسان على الأرض أن يعرف ربه سبحانه وتعالى ويوحده، ويعبده وحده لا شريك له. وقد أبان الله هذه القضية وأظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكاً ولا ريباً لأحد فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم العظيم، ويدلهم على ربهم القدير سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه وأمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وتعهد سبحانه أن يري العباد من آياته في الآفاق ما يحملهم حملاً على هذه القضية كما قال سبحانه وتعالى: ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) [فصلت: 53].

والأدلة الكونية المشاهدة ليست هي الأدلة الوحيدة التي نصبها الله للدلالة عليه، بل إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ومؤيدين من قبله سبحانه وتعالى

بالأدلة والبراهين العظيمة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنه خالق الكون، رب العالمين المستحق وحده للعبادة. ولقد أتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوصف تفصيلي بليغ لأسماء الله صفاته حتى يعظم الرب سبحانه أكمل تعظيم ويعبد على الوجه الأمثل. وهكذا أصبحت الأدلة السمعية التي جاءت بها الرسل مكتملة ومتممة للأدلة البصرية العقلية التي نصبها الله سبحانه في هذا الكون الفسيح وليس هذا فقط بل جعل الله سبحانه وتعالى شريعة الإسلام وعباداته جميعاً دالة على الله داعية للتوحيد حتى يصبح المسلم في كل عمل من أعماله موحداً ذاكراً لهذه الحقيقة العظيمة والصلاة والصيام والزكاة والحج شرعت جميعها لتعرف الله وتدل عليه وتشعر المؤمن بقربه سبحانه وتعالى من عباده واطلاعه عليهم ولذلك اشترط فيها جميعاً إخلاص النية لله سبحانه وتعلق القلب أثناء فعلها بالله، وشغل اللسان وقت فعلها بذكر الله والدلالة عليه فإذا عرفنا أن المسلم يمارس الصلاة خمس مرات في كل يوم وليلة وجوباً علمنا تبعاً لذلك أن المسلم لا بد وأن يظل ليله ونهاره ذاكراً لربه منيباً إليه داعياً له، وهذا كله ليظل بعيد تماماً عن الإلحاد بالله والكفر به.

وهكذا أصبح الإسلام منهجاً وطريقاً للتوحيد والصلة الدائمة بالله سبحانه وتعالى والبعد الدائم عن الإلحاد بل عن كل ما يقطع صلة العبد بربه سبحانه وتعالى.<sup>40</sup>

## 2. العناية بالتربية الخلقية:

النتيجة الطبيعية و الأثر المباشر للعقيدة الصحيحة هو السلوك القويم والأخلاق الطيبة، قال تعالى: ( ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ) [إبراهيم:24-25]. وغرس هذه الأخلاق و ذلك السلوك في الناس - أفرادا و جماعات - رهين بتربية هادفة رشيدة. وإنه لمن نافلة القول الكلام عن الأسرة و دورها الأساسي في التربية، فهي المحضن الأول و الأساس لها، وقد تكلمت عن هذا في معرض هذا البحث في غير ما موضع.

<sup>40</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

والإسلام يهتم بالتربية ويعطيها حيزاً عريضاً من توجيهه و تشريعاته، فما إن يعتتقه إنسان حتى يُوجَّه لِحَبِّ الخَيْرِ والهِدَايَةِ للناس - مسلمهم و كافرهم - وإنْ أُوجِبَ عليه بَغْضَ من حَادِّ الله ورسوله، إلا أنه لم يبيح له الجور و الظلم ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ) [المائدة:8].

و الإسلام يستعمل كل الوسائل المتاحة المشروعة لغرس الأخلاق الفاضلة و تتميتها و الذود عنها: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبوا أخلاقهم ذهبوا. فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فليس غريباً أن يكون شريعته جاء ( بالبر و الإحسان و الرحمة بالوالدين و الأقربين و اليتامى و المساكين و كل محتاج، و جعل للجار حقوقاً على جاره، و للصديق حقاً على صديقه و كذا للصاحب و الزميل، بل لكل مسلم على مسلم حقوقاً كرد السلام، و إجابة الدعوة و تشميت العاطس و عيادة المريض، و اتباع الجنائز، و نهى عن ظلم المسلم و احتقاره، و خذلانه، و هجرانه فوق ثلاث و البيع على بيعه، و الخِطْبَةُ على خِطْبَتِهِ، و التجسس عليه و حسده، و بغضه، و غيبته، و سبه و جعل هذا من الفسوق و الإثم الذي يعاقب فاعله بأشد العقوبات. و هكذا أصبح الإسلام رسالة إنسانية كاملة يأمر أتباعه بزرع الخير أنى وجدوا، و في أي مكان يكونون فيه، و مع كل إنسان ولو كان كافراً إلا أن يكون محارباً خارجاً بالسيف على المسلمين، و أما إن كان مسالماً مستأمناً أو معاهداً فقد أمرنا الله بالإحسان إليه و بره مع كفره أو فسقه و خروجه عن الإيمان.

وبهذه الروح الطيبة التي يخلقها الإسلام في نفوس أتباعه و يغرسها فيهم ينشأ المسلم الطيب القلب العلي الهمة نقي السريرة، فإذا توجه المسلم في كل ذلك نحو ربه مراقباً لله عاملاً لمرضاته، مريداً وجهه كان أبعد الناس عن الإلحاد و الكفر و الزندقة، أقرب الناس إلى ربه و خالقه و مولاه لأن أعماله و أقواله جميعاً ستكون عبادة خالصة، و سيكون قلبه دائماً و أبداً متصلاً بربه ذاكراً له شاكراً لأنعمه كما قال تعالى: ( قل إن صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين). [الأنعام:162] ...

وهكذا نجد أن هدفي الرسالة الإسلامية هما:

إخلاص الدين وتوحيده وعبادته وكذلك العمل لخير الإنسانية الطيبة الطاهرة التي هي بحق البديل الصالح للنفسية الإلحادية الخبيثة المدمرة التي تعيش القلق والأناية والإجرام على ظهر هذه الأرض.<sup>41</sup>

### 3. التصدي لشبهات الملاحدة:

( إذا كان الإقرار بالإيمان هو الفطرة التي فطر الله عليها عباده فإن الإلحاد غاشية طارئة خرج بها أصحابها عن أصل الخلقة و مقتضى الفطرة، بل تخلفوا بها عن موكب العقلاء، واستباحوا بها الاسترسال مع الأهواء والشهوات بلا حريجة من دين أو خلق، حتى قال بعض المفكرين واصفا هذا الإلحاد: إنه إلحاد بطن و فرج، و ليس إلحاد عقل و فكر!) \*

وإن هؤلاء الملاحدة ما عثوا في الأرض فسادا إلا و أهل الحق قد شاركوا في ذلك بتقصيرهم وتخاذلهم، فلم يكن تصديهم لهم وتعريتهم لباطلهم بالقدر و الطريقة الكافيين.

فتكملة لجوانب البحث و أخذنا بجميع أطرافه نعرض لبعض شبههم.

#### أ- الرد النظري:

فقد ( زعم بعض الملاحدة أن الكون وجد صدفة و زعم بعضهم أن الطبيعة خلقتة وهي مزاعم أوهن وأهون من أن يلتفت إليها فضلا عن أن يرد عليها)<sup>42</sup> إلا أنه تحسينا للمسلمين - وخاصة الذين هم في مقتبل العمر منهم - يجدر الاهتمام بدحض شبه القوم، وهذا من تكامل التربية وتمام التكوين للأجيال التي ينتظر منها حمل راية الإسلام التي لا تُرفع إلا بدحر الإلحاد ومقارعتة.

و في هذا السياق نذكر أن ( أمثال هؤلاء الذين لا يقولون: إنهم لا يؤمنون إلا بما أدركته حواسهم يكذبهم واقعهم المادي الذي يعيشونه، فهم مثلا يؤمنون بالجاذبية و قوانينها و لم يشاهدوها، بل رأوا آثارها، ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره، و

<sup>41</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

\* نفس المصدر

<sup>42</sup> أصول الإيمان، صلاح الصاوي

يؤمنون بالمغناطيسية، وقد شاهدوا انجذاب الحديد إلى الحديد دون رؤية الجاذب، و يؤمنون بوجود الإلكترون و النويترون ولم يشاهدوا إلكترونات ولا نويترونات، فواقع أمرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم، ولكن آثارها هي التي دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك، وهذا يعني بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لإحساسهم بآثارها دون إحساسهم بها ذاتها.<sup>43</sup>

فما بالهم يكذبون بالله و الملائكة و الجنة والنار اعتمادا على هذه الشبهة.

وما بالهم يقولون إن الكون - على اتساعه و بما فيه مما يعلمون وما لا يعلمون وعلى النظام والذي ظهر لهم بعضه وما خفي عنهم منه أعظم - وجد صدفة. ثم لا يقرون بالصدفة في حق أحقر الأشياء و أتقها.

وما بالهم يدعون تارة أخرى أن الطبيعة خلقت نفسها، رغم أن مفاد ذلك أن الشيء - الذي يوجد بعد عدم - يخلق نفسه، وأنى لمعدوم أن يخلق.

إن ( الكفر كلمة تملأ الفم فقط وتجري على اللسان دون أن يكون لها نصيب من الواقع فإنكار الله سبحانه وتعالى وإنكار البعث والجنة والنار وإنكار الرسالات كل ذلك ليس إلا كلاماً وقذفاً يملأ أفواه قائله ويجري على ألسنتهم دون أن يكون له من الواقع نصيب، ولا يملك أهل هذا الكلام الباطل لإثباته إلا الجهل والجهل ليس دليلاً.. فهم يقولون لم نر ولم نسمع ولا نعقل أن يكون للكون إله مدبر، وأن يكون قد خلق الخلق لحكمة وغاية، وأن يكون هناك بعث بعد الموت، وأن تكون جنة ونار، والحق أنهم يكابرون ولا يريدون أن يصدقوا لعل أخرى ولا يدخل فيها أنهم لم يعرفوا الحق ولم يروا الدليل، بل لظنهم أن الحق يحول بينهم وبين ما يشتهون، أو أنه يحرمهم من بعض ما يحبون ويفرض عليهم كثيراً مما يكرهون وهذه العلة هي علة السابقين في الكفر ومن سار على دربهم إلى يوم الدين كما قال تعالى: ( إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) [النجم:23] فالكافر لا يملك يقيناً في نفي وجود الله و وحدانيته، وفي نفي رسالاته ولا يملك إلا الظن وإلا فمن يملك دليلاً واحداً على أن محمداً وحاشاه صلى الله عليه وسلم كاذب، وأنه عاش طيلة عمره يأمر الناس بالباطل ويوهمهم أن هناك جنة وليس الأمر كذلك، ويوهمهم أن هناك ناراً وليس هذا

<sup>43</sup> الله جل جلاله، سعيد حوى

بصحيح وأنه جاهد وعانى وتحمل ما تحمل في سبيل قضية باطلة لا يؤمن بها.<sup>44</sup>

### ب- الرد العملي:

فلا بد إذن من الرد على شبه القوم و الإتيان عليها من الأساس. إلا أن الرد لا يكون كلاماً في كل حال، بل في كثير من الأحوال يكون ( فعلاً فالإسلام والتوحيد نظام عملي وعبادي واعتقادي وإثبات الحق في الإسلام لا يكون بمجرد الكلام فمن قال مثلاً أن الإسلام يعني التخلف ويحارب العلم المادي كان الرد الطبيعي أن يمتلك المسلمون القوة وأن يتعلموا هذا العلم المادي، وبذلك تبطل الشبهة، ومن قال أن الإسلام لا يصلح لحياة الناس كان الرد الصحيح هو إقامة الإسلام العلمي الواقعي. وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً.

باختصار يستحيل أن نعالج ظاهرة الإلحاد المعاصرة إلا إذا أقمنا دليلاً للرد على كل شبهة وجعلنا العالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وأما إذا أصبحت الكتب فقط والأوراق هي الميدان الذي نحارب من خلاله فإننا ولا شك نخسر المعركة. وهكذا يكون الرد على شبهات الإلحاد كلاماً في مقابل الكلام وعملاً في مقابل الأعمال، فإذا أفرز الإلحاد انحرافاً ونجاسة وانحلالاً فيجب على التوحيد أن يخلق طهراً وعفافاً واستقامة. وإذا كان الإلحاد يعني الظلم فإن التوحيد يعني العدل ولن نفهم العدل إلا إذا كان واقعاً كما أننا لا نحس بالظلم إلا إذا كان واقعاً. وإذا كان الإسلام كما نعتقد وهو كذلك هو الفلاح الحقيقي في الدنيا ولا أقول صالحاً لحياة الناس فقط هذا الإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك. وهكذا إذا استطاع المسلمون أن يملكوا لكل شبهة جواباً وأن يكون الجواب كما يرى الناس لا كما يسمعون فقط استطعنا حقاً أن نقضي على ظاهرة الإلحاد.<sup>45</sup>

<sup>44</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق  
<sup>45</sup> الإلحاد، عبد الرحمن عبد الخالق

## الخاتمة:

و ختاماً نقول، إن الإلحاد وإن لم يملك أساساً علمياً صحيحاً يقوم عليه ولا منطقاً معقولاً يستند إليه، إلا أن له حضوراً على أرض الواقع. وهماهي الدول المصنعة المستعبدة لشعوب العالم تؤيده و تحميه، وكذلك أحزاب وجماعات تتبناه حتى في بلاد المسلمين، فواحسرتاه.

فلا بد إذن من شحذ الهمم و بذل الوسع و توحيد الصف للوقوف وقفة رجل واحد في وجه هذا الداء العضال الذي ما فتىء يفتت جسد الأمة.

أما أن لأهل الحق أن ينتبهوا للأخطار المحدقة بهم من الداخل والخارج؟

أما أن لهم أن يتكثروا دفاعاً عن أنفسهم وعن وجودهم الذي أصبح موضع رهان؟

أما أن لهم أن يتخلوا عن المعارك الجانبية والوهمية ليتفرغوا لمواجهة التحديات التاريخية والمعارك الفاصلة الحقيقية؟

وليعلم الجميع أن تعرية الأنظمة و الأحزاب والمؤسسات الإلحادية خطوة في الطريق الصحيح.

و أن إعداد العدة في كل المجالات الحيوية: الثقافية والاجتماعية والسياسية و الاقتصادية والعسكرية خطوة في الطريق الصحيح.

و أن تعلم العلوم الشرعية والعمل بها خطوة في الطريق الصحيح.

و أن إحياء فريضة الجهاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خطوة في الطريق الصحيح،

الطريق الموصول إلى موعود الله (( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك

فأولئك هم الفاسقون )) [النور:55]

ونسأل الله الهدى والرشاد، فمنه وحده التوفيق والسداد وهو على كل شيء قدير،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## فهرس المراجع:

- 1- الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمان عبد الخالق
- 2- أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، عبدالله قادري الأهدل
- 3- العلمانية، نشأتها وتطورها و آثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي
- 4- في ظلال القرآن، سيد قطب
- 5- بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي
- 6- العلمانية و ثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف
- 7- أصول الإيمان، صلاح الصاوي
- 8- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس
- 9- الله جل جلاله، سعيد حوى
- 10- الإسلام و القومية العلمانية، عبد السلام ياسين
- 11- الولاء و البراء، محمد بن سعيد القحطاني

## فهرس الموضوعات:

خطة البحث

الباب الأول: مدخل و تعريف

الباب الثاني: أسباب الإلحاد:

1. الكنيسة الأوروبية

2. المذاهب الاقتصادية اللادينية

أ. المذهب الطبيعي الفيزيوقراطي

ب. المذهب الرأسمالي

ج. المذهب الشيوعي

3. اقتران الإلحاد بالقوة المادية

4. هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية

5. الحياة الجديدة:

أ. مباهجها وفتتها

ب. دوامتها و شغلها لوقت الإنسان المعاصر

الباب الثالث: آثار الإلحاد في حياة الإنسان:

1. القلق والصراع النفسي

2. الأنانية والفردية

3. فقد الوازع والنزوع إلى الإجرام

4. هدم الأسرة و تخريب المجتمع

5. الفساد السياسي الدولي: إذا امتلكت القوة و ذهبت الأخلاق.

الباب الرابع: كيف نعالج ظاهرة الإلحاد؟

1. الإيمان بالله و توحيده

2. العناية بالتربية الخلقية

3. التصدي لشبهات الملاحدة

أ- الرد النظري

ب- الرد العملي

الخاتمة